OPEN ACCESS
Journal of Arabic Research (AIOU)
jar.aiou.edu.pk
iri.aiou.edu.pk

البناء البلاغي في شعر المديح النبوي عند أبي نزار وفريد الدين العطار

(دراسة تحليلية مقارنة في الأدبين: العربي والفارسي)

The rhetorical structure in the Prophetic praise's poetry by Abu Nizar and Farid -ud-Din Al-Attar:(A comparative analytical study in the literature: Arab and Persian)

۞ الدكتورة سميعة نازش

أستاذة مساعدة بكلية اللغة العربية وآدابها ، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان

۞۞ شكيل أحمد

محاضر بقسم اللغة العربية ، جامعة العلامة إقبال المفتوحة ، إسلام آباد، باكستان

ABSTRACT

Prophetic praise is a color of expression of religious emotions and a chapter of fine literature because it is expressed only with honesty and sincerity". It is a poetic art, since the forefront of Islam, Muslim poets have paid attention to this art, even though this term was not known in the primary period, and it did not stable until the sixth century of migration. In the first half of this century, the poems of the Prophet's praise evolved more clearly and flourished as an art of poetry.

The Persian literature was also influenced by this art, and the methods of expression were varied with the diversity of poets in terms of style and images. This does not negate the existence of expressive characteristics that are common in poets when dealing with this topic. Their poems were described by the utter rhetoric which has its highest meanings and ranks.

This research aims to study the rhetorical structure in the poetry of the prophetic praise by Abu Nizar the Arab poet and Farid-ud-Din Al-Attar the Persian poet, and highlight the similarities and differences in their poetry, relying on two approaches: rhetorical analytical and the comparative approach, to identify the features of influence between them.

The research includes the concept of praise, a brief life history of the two poets, the rhetorical analytical and the comparative study of the selected poetic texts with results of this research.

Keywords: Rhetorical structure, Prophetic praise, Arabic and Persian poetry.

ملخص البحث

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلّمه البيان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير خلق الله أجمعين، وعلى آله وصحبه ، وبعد:

المديح النبوي هو: " لون من التعبير عن العواطف الدينية وباب من الأدب الرفيع لأنه لا يصدر إلا بالصدق والإخلاص." [1] ويعد فنا من الفنون الشعرية ، منذ طليعة الإسلام اهتم الشعراء المسلمون بهذا الفن ، في الفترة الابتدائية لم يعرف بهذا المصطلح ، ولم يستقر إلا في القرن السادس للهجرة. في النصف الأول من هذا القرن تبلورت قصائد المديح النبوي بوضوح أكبر وازدهرت باعتباره فنا من فنون الشعر ، وكثر شعراء العرب في هذا الفن.

قد تأثرت الساحة الأدبية الفارسية أيضا بهذا الفن ، وتنوعت طرق التعبير عنه بتنوع الشعراء من حيث الأسلوب والصور. وهذا لا ينفى وجود خصائص تعبيرية مشتركة بين الشعراء في تناولهم لهذا الموضوع. وصفت قصائدهم بالبلاغة المتناهية التي في أسمى معانيها وأعلى مراتبها وأشمخ مبانيها.

قد يهدف هذا البحث إلى دراسة البناء البلاغي في شعر المديح النبوي عند أبي نزار الشاعر العربي وفريد الدين العطار الشاعر الفارسي وإبراز أوجه التشابه والتباين في شعرهما ، معتمدا في دراستهما على المنهجين: التحليلي البلاغي والمنهج المقارن ، محاولا من خلال ذلك الوقوف على ملامح التأثير والتأثر بينهما.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يجيء بعرض ترجمة وجيزة عن الشاعرين وتقديم نماذج بعض نصوص شعرية مختارة من شعرهما في الغرض المحدد للوصول إلى النتائج.

الكلمات المفتاحية: البناء البلاغي ، المديح النبوي ، الشعر العربي والفارسي

التمهيد

إن للشعر – عربيا كان أم عجميا – دور بارز في الحياة الأدبية والفكرية والسياسية ، وهو أحد الفنون الأدبية التي تصف الحياة من وجهة نظر الشاعر. ويعتمد الشعر على العاطفة والإيقاع والخيال.

والشعر يتطور حسب تطور الشعوب ، وتبرز فيه فنون جديدة من حيث المضمون ومن حيث الأسلوب واللغة ومن حيث الأوزان والقوافي. حيث يظهر إلى جانب شعر الوصف وشعر الغزل والشعر السياسي والشعر الصوفي والشعر الاجتماعي والشعر الوطني.

والمدح هو غرض رئيسي من أغراض الشعر عربيا كان أم عجميا ، وهو:

" نقيض الهجاء وهو حسن الثناء ، يقال: مَدَحْتُه مِدْحَةً وَاحِدَةً ومَدَحَه يَمْدَحُه مَدْحاً ومِدْحَةً ، هذا قول بعضهم والصحيح أن المِدح المصدر والمِدحة الاسم ، والجمع مِدَحٌ ، وهو المديح والجمع المدائح والأماديح." [2]

المدح هو في الأصل

" تعبير عن إعجاب المادح بصفات مثالية ومزايا إنسانية رفيعة يتحلى بها شخص من الأشخاص أو أمة من الأمم. وأفضل المدح ما صدر عن صدق عاطفة وحقيقة واقعة ولا يكذب فيه الشاعر ولا يبالغ ، وأجمل المدح ما ابتعد عن تمجيد الامتيازات المادية التي يتمتع بها الممدوح مما لا فضل له به ، وأجود المدح وأبقاه ما أخلص فيه الشاعر لنفسه ولحقيقة ممدوحه ولخير مجتمعه." [3]

والمديح النبوي هو شعر وجداني الذي يهتم بمدح النبي الكريم ﷺ لبيان صفاته الخُلقية والخَلقية مع ذكر معجزاته ، ونظم سيرته شعرا ، والإشادة بغزواته ، وإظهار الشوق والحنين لرؤية النبي الكريم ﷺ وزيارة المدينة المنورة ، ورجاء شفاعته.

موضوع المدائح النبوية هو أجمل صفحات المديح في الشعر العربي ، فهو مديح مجرد من الرغبة ، لم يرتبط بعرض الدنيا ، إنما ارتبط بشخصية حامل الرسالة سيّدنا محمد ﷺ. في عصر الرسول الكريم ﷺ الشعر العربي كان سلاحا استخدمه الإسلام في الجهاد ، وكان للرسول الكريم ﷺ عدد من الشعراء ، أبرزهم حسان بن ثابت[4] وكعب بن مالك [5] وعبد الله بن رواحة [6]. كان يتقدمهم حسان بن ثابت الذي كان يخصه الرسول ﷺ على الدفاع عن رسالة الإسلام وعلى الرد على من كانوا يتعرضون للرسول ﷺ وللرسالة بالهجاء ، فكان يقول له: " اهجهم وروح القدس معك ". نرى في ذلك العصر القصيدة الفريدة التي اشتهرت وهي قصيدة كعب بن زهير[7]. بعد

ذلك نجد المدائح النبوية في قصائد شعراء الآخرين في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي والعباسي حتى يومنا هذا.

منذ طليعة الإسلام اهتم الشعراء المسلمون بهذا الفن وإن لم يعرف بهذا المصطلح في الفترة الابتدائية ، ولم يصبح ظاهرة متفردة إلا بعد مدة طويلة من الزمن ، ولم يستقر إلا في القرن السادس للهجرة. في النصف الأول من هذا القرن تبلورت قصائد المديح النبوي بوضوح أكبر وازدهرت باعتباره فنا من فنون الشعر ، وكثر الشعراء في هذا الفن.

أسبقهم في ذلك الشاعر العربي أبو نزار الحسن بن صافي ملك النحاة (489هـ-568هـ). شعره يمثل سمة لحقبة مهمة في الأدب العربي بشكل عام والمديح النبوي بشكل خاص ، تناول في ديوان شعره ست قصائد طوال في المديح النبوي ، اتسم شعره بسهولة الألفاظ ووضوح المعاني وجودة التعبير البلاغي.

موضوع المديح النبوي من الموضوعات التي تناولها الشعراء من مختلف الجنسيات في كل العصور ومنهم شعراء الفارس ، كما بيّن بعض المحققين المعاصرين: " تأثرت الساحة الأدبية الفارسية بمعظم الظواهر والموضوعات التي راجت في ساحة الأدب العربي حينئذ ، مثل سيطرة التكلف والصنعة الشعرية ورواج شعر المديح خصوصا المدائح النبوية." [8]

مع النصف الثاني من القرن السادس للهجرة ، ظهر في سماء الشعر الفارسي الشاعر العارف فريد الدين العطار (540 – 618هـ) – الذي ترك بصماته عميقة على صفحة الشعر العرفاني – يحمل عواطف الحب والفداء في مدح النبي الكريم ﷺ. قد زخر الأدب الفارسي بمدائحه الموزعة في مقدمات كتبه التي تمتاز بالبلاغة العالية واللغة الراقية والعاطفة الصادقة.

فقد خصصت هذه الدراسة لتحديد خصائص التعبير الشعري وسماته البلاغية عند الشاعرين – الشاعر العربي أبي نزار والشاعر الفارسي فريد الدين العطار – في المديح النبوي.

ترجمة وجيزة عن أبي نزار

حياته: هو " الحسن بن أبي الحسن صافي بن عبد الله أبو نزار النحوي البغدادي ، المعروف بملك النحاة ، فقيه نحوي لغوي، شاعر ناثر، حسن الشعر والرسائل، عارف بالنحو واللغة." [9] ولد

ببغداد سنة 489هـ في الجانب الغربي بشارع دار الرقيق ، ثم انتقل إلى الجانب الشرقي إلى جوار حرم الخلافة." [10]

" قرأ علم الكلام على محمد بن أبي بكر القيرواني[11] ، وعلم أصول الفقه على أبي الفتح أحمد بن علي بن برهان[12] ، والفقه علي أحمد الأشنهي[13] ، والنحو على أبي الحسن بن أبي زيد الفصيحي[14] ، وسمع الحديث من نور الهدى أبي طالب الزينبي[15]. وصار أنحى أهل طبقته وكان فصيحا ذكيا. لقب نفسه ملك النحاة ، وكان يسخط على من يخاطبه بغير ذلك. سكن واسط مدة وأخذ عنه أهلها أدبا كثيرا ، ثم صار إلى شيراز وكرمان وتنقل حتى استقر به الحال بدمشق فسكنها إلى أن توفي في تاسع شوال سنة 568هـ ، ودفن بمقبرة الباب الصغير."[16]

سيرته

قد اجتمعت كتب التراجم على أنه: " كان فصيحًا ، ذكيًا ، متقعرًا ، معجبًا بنفسه لكنه صحيح الاعتقاد كريم النفس ... كان يقال له أيضًا حجّة العرب . وكان أحد النحاة المبرزين ، والشعراء المجودين." [17]

ويقول بعض المحققين أنه : " أحد الفضلاء المبرّزين ، بل واحدهم فضلا، وماجدهم نبلا ، وكبيرهم قدرا ، ورحيبهم صدرا. قد غلبت عليه سمة ملك النحاة ، وشهدت بفضله ألسن خلّانه والعداة ، سمح البديهة فى المقاصد النبيهة ، عزيز النفس ، كثير الأنفة عن المطامع الدنية بالمطالب النّزيهة ، والمراتب الوجيهة. ولقد كانت نجابته للنّحاة بضاعة وافية ، وبراعة يراعته للكفاة كافية ، يأخذ القلم فيمشق الطّرس فى عرضه نظما يعجز ، ونثرا يعجب ، ونكتا ترقص ، ونتفا تطرب." [18]

ويرى البعض أنه : " كان ملك النحاة مطبوعاً ، متناسب الأحوال والأفعال ، يحكم على أهل التمييز بحكم ملكه ، فيقبل ولا يستثقل ، وكان يقول: هل سيبويه إلا من رعيتي ، ولو عاش ابن جني لم يسعه إلا حمل غاشيتي ، مر الشتيمة حلو الشيمة ، يضم يده على المائة والمائتين ، ويمشي وهو منها صفر اليدين." [19]

مؤلفاته

وله عدّة مؤلفات ، ومنها

" كتاب الحاوي في النحو ، كتاب العمد في النحو ، كتاب المقتصد في التصريف ، كتاب أسلوب الحق في تعليل القراءات العشر ، كتاب التذكرة السفرية، كتاب العروض ، كتاب في الفقه

على مذهب الشافعي سماه (الحاكم) ، كتاب مختصر في أصول الفقه. كتاب مختصر في أصول الدين ، كتاب المقامات حذا حذو الحريري.

شعره

له ديوان شعره ، تناول في شعره أغراضا متعددة ، كمدح النبي ﷺ والوصف والحديث عن مجالس الطرب والرد على من هجا من الشعراء.

له ست قصائد في المديح النبوي الشريف ، هذا عدد لا نجده عند غيره من الشعراء – الذين كتبوا في هذا الفن – في القرن السادس. لم يخرج أبو نزار في أسلوب هذه القصائد المدحية عمن سبقه في ابتداء أماديحه. يبتدأ بحمد الله سبحانه وتعالى ، ثم يمدح النبي الكريم ﷺ ، فتارة يذكر يثرب وتارة يذكر الغوير ونجد ، ويذكر الحقيقة المحمدية التي تتجلى في السيادة والأفضلية. لم تخل قصائده من الحديث عن صفات النبي الكريم ﷺ وحديث الإسراء والمعراج. قد اعتاد الشاعر أبو نزار على أن يختتم قصائده بالصلاة على رسول الله ﷺ.

أما لغته وأسلوبه يختار اللغة البسيطة الخالية من التعقيد اللفظي والمعنوي في نظم أبياته ، والأسلوب مع عذوبة الألفاظ وجودة السبك ورقة التعبيرات البلاغية وجمالها وتنوعها.

نماذج نصوص شعرية مختارة من شعر أبي نزار:شعر المديح النبوي عند أبي نزار يغلب عليه الأساليب الإنشائية والأساليب الخبرية ، فهذه الأساليب يتناولها الشاعر في الإفصاح عن فكرته ومشاعره بشكل أدق وبطرق متعددة. من الأساليب الإنشائية تارة يأتي بأسلوب النداء ، فيقول:

يا خاتم الأنبياء قاطبة أتاك لفظ الثناء يستبق [20]

ثم يقول:

يا من رأى الملأ الأعلى فراعهم
و عاد وهو على الكونين يحتكم
يا من له دانت الدنيا وزخرفت
الأخرى ومن بعلاه تفخر النسم

يا من به عاد وجه الحق متضحا

من بعد أن ظوهرت بالباطل الظلم [21]

يخاطب الشاعر النبي الكريم ﷺ بحرف النداء (يا) للدلالة على علّو مرتبته ، فالأصل في النداء: " أن يكون باسم المنادى العلم، فلا يعدل عن غيره من وصف أو إضافة أو الكنية واللقب إلا لغرض" [22] هنا وراء هذا العدول عن النداء بالعلم إلى النداء بالوصف لبيان صفاته ﷺ واختصاصه على معنى التكريم والتعظيم والوفاء.

وتارة يأتي الشاعر بأسلوب الاستفهام ، كما في قوله:

هل سامع يا رسول الله أنت

لمن ولاؤه لك مروي ومنقول [23]

في هذا البيت لا يسأل الشاعر عن شيئ بلفظة (هل) ، بل يريد بهذا الأسلوب إظهار الالتماس في مقام الدعاء ، كما نجد أن الاستفهام يخرج عن طلب الفهم والعلم بشيء غير معلوم إلى معان أخرى تفهم من السياق وقرائن الأحوال" كالتقرير والتعجّب والإنكار والتوبيخ والتأنيس والالتماس والتشويق والتحضيض وغير ذلك." [24]

ثم يقول:

ومن تواضع جبريل الأمين له

ودون حق نهاه هذه القسم [25]

لم يقصد الشاعر من لفظة (مَنْ) مجرّد معناها، الذي هو تعيين العاقل، وإنّما يريد صفاتها في مقام التعظيم والإجلال.

إن القصائد النبوية للشاعر أبي نزار تتميز بالجمل الفعلية والجمل الاسمية ، وكثر تعبيرها بالجمل الفعلية الخبرية على سبيل تحقق الوقوع ، كما يقول:

علوت عن كل مدح يستفاض

فما الجلال إلّا الذي تنحوه والعظم [26]

ويقول:

علوت وازددت حتى عاد ممتدحا

جبريل عمّاله قد كان لم يطل

وعدت والكبر قد نافى علاك فما
عدوت شيمة سبط الخلق مبتهل [27]

ويقول:

بلغت من غاية الإكرام منزلة
عنها أعيد الأمين الروح جبريل [28]

في هذه الأبيات أتى الشاعر بالجمل الفعلية الخبرية لاستحضار الصورة حتى يكاد المخاطب يكون مشاهدًا له ، والصيغ الفعلية تدلّ على تحقّق وقوع هذه الأعمال للدلالة على علو مرتبة النبي الكريم ﷺ.

يستخدم الشاعر في مدائحه أسلوب اسمية الجملة الدالة على الإثبات والتأكيد ، فيقول:

أغر أبلج يسمو عن مساجلة
إذا تذكرت الأخلاق والشيم [29]

ثم يقول:

مرط ألفاظه التي انتظمت
بطيب علياك في الورى عبق [30]

هنا الجمل الخبرية التي وردت بصيغة اسمية – وهي أقوى دلالة من الفعلية لأنها تدلّ على الثبوت والاستقرار والدوام – تؤكد تقوية الحكم على وجه الثبوت والدوام ، وتثبيت المعنى في نفوس المخاطبين.

عند الشاعر العربي أبي نزار نجد المزاوجة بين الأساليب الإنشائية والخبرية لإظهار المشاعر والأحاسيس ورقة الوجدان وحب الرسول ﷺ طمعا في شفاعته يوم الحساب.

ترجمة وجيزة عن فريد الدين العطار

حياته

هو " محمد بن إبراهيم بن مصطفى بن شعبان ، كنيته أبو حامد وأبو طالب ، أما فريد الدين فهو لقبه ، ولد في قرية قرب نيسابور 513هـ. لقد عرف بـ " العطار " لأنه كان يعمل في

العطارة وهي مهنة أبيه من قبله. ويؤخذ من كتبه أنه كان يطب للناس ويعطيهم الأدوية ، وكان يحضره مئات من الناس للعلاج والدواء ، ولكنه ترك هذه الصناعة وانقطع للعبادة والتأليف والسياحة. " [31]

المهم أنه " تصوف ذات يوم واعتزل في صومعة وراح يتلقى الدروس على عدد من المشائخ. غير أن من المؤكد أن العطار قد تأثر إلى حد كبير بحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، ما يجعل من المفترض أنه كان شافعياً من ناحية المذهب. وفي الوقت نفسه معروف أنه قرأ القرآن وسمع الحديث ، وتعلم الفقه ، درس الطب والصيدلة وعلم الكلام والتاريخ ، كما قرأ سير الشيوخ الذين سبقوه. وهو متابعاً الغزالي، كان كثير الحذر تجاه الفلسفة والفلاسفة. إنه ساح في أربعة آفاق الأرض ، فسافر إلى مكة ومصر ودمشق والكوفة والري وخراسان ، ودخل الهند وتركستان ، ثم رجع إلى نيسا بور. " [32]

أما وفاة فريد الدين العطار فقد اختلف الباحثون في تاريخها، " أول التواريخ المروية سنة 586هـ وآخرها سنة 632. والمرجح أنه توفي في العام 627هـ. علماً أن سيرة حياته تشير إلى محاولة لقتله جرت في العام 618هـ. قال كثيرون أنه نجا منها. " [33]

سيرته

كان صوفيا ناسكا ، شاعرا فارسيا متصوفا ، وعاش زمنا طويلا معتزلا متعبدا متأملا ، قد تربّى العطار في كنف أبوين صالحين تقيين ورعين ، فنشأ على الصلاح والتقى والورع وحب الصوفية ، وأثرت في نفسه هذه البيئة الصالحة ، فلما كبر نما في قلبه حبه للصالحين من رجال الدين ومن أهل التصوف. حصل على التربية الصوفية وقطع مراحل السلوك. [34]

مؤلفاته

له مؤلفات عديدة ، ومنها

" سير الأولياء ، منطق الطير (يعرف أيضاً باسم مقامات الطيور) ، خسرو نامه (ويعرف أيضاً باسم غول هرمز) ، مختار نامه ، إلهي نامه ، أسرار نامه ، مصيبة نامة ، تذكرة الأولياء ، مظهر

العجائب ، بيسر نامه ، ميلاج نامه ، حيدري نامه ، بند عطار ، وصلت نامه ، جمجمة نامه ، الصراط المستقيم ، لسان الغيب ، الديوان ، شرح القلب." [35]

شعره

فريد الدين العطار هو: " شاعر الحب الإلهي الذي سمّيت أقواله بـ ''سوط العارفين ". وهو واحد من أعظم شعراء الفرس ، وأغزرهم إنتاجا ، وأعمقهم فكر. وهو واحد من أكثر ثلاثة شعراء متصوّفة في تاريخ الأدب الفارسي كله بعد الإسلام؛ هم: سنائي ، والعطار، وجلال الدين الرومي." [36]

وهو الذي قال فيه جلال الدين الرومي: " كان العطار وجها ، وكان السنائي عينيه ، وجئنا على أثر السنائي والعطار." وفي شعر العطار أثر شعراء الفرس الكبار كأبي سعيد بن أبي الخير والفردوسي، وروّاد الشعر العربي كحسان ابن ثابت ولبيد ورابعة العدوية والمتنبي وأبي العتاهية وأبي العلاء المعري، كما تأثر سلوكه بالحلاج والإمام الشافعي. كما أنّ للعطار أثراً كبيرًا في جلال الدين الرومي، الذي يصف مكانه من العطار بقوله: طوف العطار مدن العشق السبعة، ولا نزال في منعطف جادة واحدة. " [37]

قال بعض المحققين أنه: " يُعتبر أحد أعظم الشعراء والمفكرين الصوفيين المسلمين ، عُرف بغزارة الإنتاج، وقد تركت أعماله أثراً ملحوظاً في الأدب الفارسي وفي الآداب الإسلامية الأخرى أيضاً." [38]

يصوّر العطار كثرة إنتاجه ، وهذا الإنتاج شعر كله عدا تذكرة الأولياء ، فهي منثورة. قد أكثر من مدح النبي الكريم ﷺ في نتاجاته ، وجاءت هذه المدائح عنده موزعة في مقدمات كتبه. هو لم يستفتح مدائحه بذكر الأماكن أو الغزل أو النسيب – كما جرت عليه العادة عند بعض الشعراء في الأدب العربي – ولم يقدم لها بالمعاني الزهدية وبالوعظ والدعاء ، بل أخذ يمدح النبي الكريم ﷺ مباشرة ويشيد بفضائله في قصائده الممتازة من حيث السلاسة والانسجام وقوة التأثير.

نماذج نصوص شعرية مختارة من شعر فريد الدين العطار: وُصف شعر المديح النبوي عند فريد الدين العطار بالبلاغة المتناهية التي في أسمى معانيها وأعلى مراتبها وأشمخ مبانيها. قد اهتم الشاعر

في شعره بالصور البلاغية اهتماما واسعا ، خاصة الصورة التشبيهية. والتشبيه البليغ هو من أكثر التشبيهات انتشارا في مدائح العطار ، فيقول:

خواجه دنيا ودين ، گنج وفا

صدروبدرهر دوعالم مصطفى

آفتاب شرع ودريای يقين

نورعالم رحمة للعالمين [39]

في هذه الأبيات يشبه الشاعر النبي الكريم ﷺ بـ " **گنج وفا** " (كنز الوفاء) ، و" **صدر وبدر هر دو عالم** " (سيد الكونين وبدر الدارين) ، و" **آفتاب شرع** " (شمس الشريعة) ، و" **دريای يقين** " (بحر اليقين) ، و" **نورعالم** " (نور الكون) ، و" **رحمة للعالمين** " (الرحمة للعالمين) بحذف أداة التشبيه ووجه الشبه ، بما يسمّى عند البلاغيين التشبيه البليغ – هذا النوع من التشبيه له أثر عميق في وصف المشبه بوصف المشبه به، وهو قائم على ادعاء الاتحاد بينهما بحذف الأداة، والتشابه في كل شيء بحذف الوجه [40] – إشعاراً للمخاطبين أن المشبه هو المشبه به نفسه.

الشاعر في هذه الصورة قد استطاع أن يغرب في التشبيه بإضافة المشبه به إلى أمور معنوية، و يريد من توظيفها التأكيد على الصفات المعنوية التي يتمتع بها الممدوح.

كذلك في التشبيهات لا يأتي فريد الدين العطار بالمشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يرمز إليهما في غير صراحة ، ويجعل المشبه به برهانا على إمكان ما أسنده إلى المشبه ، وقد اصطلح البلاغيون على تسمية هذا التشبيه بالتشبيه الضمني[41] ، فيقول:

رسالت را رسولی چون تو ننشست

همه انگشتان يكسان نيست بر دست [42]

معنى: " **رسالت را رسولی چون تو ننشست** ": الرسالة السماوية لم تتشرف برسول مثلك – وإن ذلك ليس بعجيب – ومعنى" **همه انگشتان يكسان نيست بر دست** ": أصابع اليد كلها ليست متساوية. فالشاعر يشبه حال الرسالة السماوية التي لم تتشرف برسول مثل النبي

الكريم ﷺ بحال أصابع اليد التي ليست متساوية بل مختلفة. لكنه لم يضع ذلك صريحا فإنه لم يقل: **رسالت چون همه انگشتان دست** (أي: رسالة مثل أصابع اليد). بل أتى بجملة مستقلة وضمنها هذا المعنى في صورة برهان ، وفعل نزوعا إلى الابتكار وإقامة للدليل على الحكم الذي أسنده إلى المشبه.

قد اعتمد الشاعر في الصورة الشعرية للمديح النبوي على بناء الاستعارة ، وتتميز الاستعارة عن التشبيه بأنها أكثر إيحاء وأعمق تصويرا ، فيقول:

گويند مه شكافت تو داني كه آن چه بود

گردون ترنج ودست ببيريد از آن لقا [43]

معنى: " **گويند مه شكافت تو داني كه آن چه بود** ": يقال أن القمر انشق ، تعلم ما كان هذا؟ معنى: " **گردون ترنج ودست ببيريد از آن لقا** ": السماء قطعت اليد والفاكهة لأجل الزيارة. في هذا البيت شبّه السماء (المشبّه) بامرأة (المشبّه به) ، حذف المشبّه به ، فالأصل : السماء كالنساء . إنما ذكر في الكلام ما يدل عليه وهو قوله: قطعت اليد والفاكهة ، على سبيل الاستعارة المكنية. قد أتى الشاعر ببيان معجزة انشقاق القمر وبالغ في وصف جمال النبي الكريم ﷺ باستحضار قصة يوسف عليه السلام والنساء في مجلس زليخا.

في شعر المديح النبوي عند فريد الدين العطار تجلى بوضوح عنصر الكناية ، فالكناية: " لا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود ، فيومئ به إليه ، ويجعله دليلاً عليه." [44] فقد جاء التعبير الكنائي عند الشاعر في مدح النبي الكريم ﷺ ، ومن المثال على ذلك قوله:

فلك زان مي رود با تشت خورشيد

كه هست از ديرگاه تشت دارت [45]

معنى : " الفلك ما يدور بطست الشمس على الدوام إلا ليعترف بأنه خادمك المطيع منذ القدم " ، قد اتخذ الشاعر التعبير " **تشت دار** " بمعنى حامل الطست كناية عن موصوف وهو بمعنى خادم ، لتقرير أفضلية الممدوح على جميع الخلق.

في شعر المديح النبوي عند الشاعر حظيت الألوان البديعية بنصيب وافر من الاهتمام ، هناك العديد من الكلمات المتجانسة وزعت في شعره. ومن مثال على ذلك:

ميم احمد محو شد پاک آن زمان

تا احد ماند وشد احمد از ميان [46]

معنى هذا البيت: " في تلك اللحظة انمحى ميم احمد تماما ، وبذلك فنى أحمد ولم يبق إلا الأحد. فالجناس بين كلمتي " **أحمد وأحد** " جناس غير تام ، لجأ الشاعر إلى الجناس لتبيين المعاني العرفانية وتقريرها في ذهن المتلقي.

ومن الأساليب التي اعتمد عليها العطار في مدائحه أسلوب التكرار ، والتكرار هو إعادة كلمة أكثر من مرة في سياق واحد لنكتة : " إما للتأكيد أو للتحذير أو الترغيب أو الوعيد والتهديد أو غير ذلك."[47]

وهو: " أسلوب تعبيري يصوّر انفعال النفس بمثير ما ، واللفظ المكرّر فيه هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة لاتصاله الوثيق بالوجدان ، فالمتكلّم إنما يكرّر ما يثير اهتماماً عنده ، وهو يحبّ في الوقت نفسه أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه ، أو من هم في حكم المخاطبين ممن يصل إليهم القول على بعد الزمان والديار." [48]

فمن الأمثلة على ذلك قوله:

زهى رتبت زهى قدر زهى قدر

زهى صاحب زهى صادق زهى صدر[49]

معنى: مرحى! فما أعظمك منزلة وقدرة وقدرا ، وما أجلك صاحبا وصادقا وسيدا.

وقوله:

زهى عرش مجيد آستانة تو

زهی هفت آسمان یك خانه تو [50]

معنى: مرحى! فالعرش المجيد ليس إلا بلاط ملكك والسموات السبع ليست إلا دارا من دورك.

وقوله:

زهی فاضل ترین کس انبیا را

زهی محترم ترین شخص خدا را [51]

معنى: مرحى! فأنت أفضل الأنبياء طرا وأقرب الناس إلى الله حرمة ومقاما.

ومن الكلمات التي اختارها العطار لغرض التكرار لفظة (**زهی**) التعجبيّة ، فهذه الكلمة ذات صوت رنان وإيقاع موسيقى جميل ، اتخذ الشاعر تكرارها للتعجب على الاندهاش بعظمة الممدوح النبي الكريم ﷺ.

عند الشاعر الفارسي اهتمام واسع في مدائحه بالصور البلاغية حيث استطاع أن يعتمد من خلالها على التراكيب والصور البيانية والفنون البديعية ، لبيان عظمة النبي الكريمﷺ وأفضليته على جميع الخلق.

أوجه التشابه والتباين

وأخيراً بعد دراسة شعر المدائح النبوية عند الشاعر العربي أبي نزار ومعاصره الشاعر الفارسي فريد الدين العطار، نستطيع أن نجد بعض أوجه التشابه إلى جانب بعض نقاط الاختلاف بين مديحهما النبوي ، ونستطيع أن نجمل أوجه التشابه بينهما بما يلي:

- توافقت مدائح الشاعرين في جانب المضمون ، إذ يشيد كل من مدائحهما بالرسول الكريم ﷺ باعتباره سيد الكون والمخلوقات ، وأنه أفضل البشر خلقة وخُلقا.
- تشابه مدائح الشاعرين بصدق المشاعر ونبل الأحاسيس وورقة الوجدان وحب الرسول الكريم ﷺ في مقام التعظيم والتكريم.
- يتميز مدائحهما من حيث الألفاظ بالسهولة والعذوبة والوضوح ، من حيث الأسلوب بالمتانة والرصانة ، من حيث التعبير بالدقة.

وأما نقاط الاختلاف بينهما:

- جاءت المدائح النبوية عند الشاعر الفارسي فريد الدين العطار موزعة في مقدمات كتبه ، إذ تناول الشاعر العربي أبو نزار في ديوان شعره القصائد الطوال في المديح النبوي.
- لم يستفتح فريد الدين العطار مدائحه بذكر الأماكن أو التغزل أو النسيب ، بل أخذ يمدح النبي الكريم ﷺ مباشرة ويشيد بفضائله. أما أبو نزار لم يخرج في أسلوبه عمن سبقه في ابتداء أماديحه ، فتارة يذكر يثرب ، وتارة يذكر الغوير ونجد.
- تتسم شعر العطار بالحديث عن صفات النبي الكريم ﷺ. أما قصائد أبي نزار لم تخل من حديث الحقيقة المحمدية التي تتجلى في السيادة والأفضلية ، ومن حديث الإسراء والمعراج والمعجزات ، ومن الحديث عن صفات النبي الكريم ﷺ.
- ختم فريد الدين العطار قصائده بمدح النبي الكريم ﷺ ، بينما حرص أبو نزار على أن يختتم كل مدحة نبوية بالصلاة على الرسول الكريم ﷺ.
- تمتاز مدائح العطار بالصور التشبيهية والاستعارية والكنائية وبالمحسنات اللفظية والمعنوية ، من التشبيهات التشبيه البليغ هو من أكثر التشبيهات انتشارا في مدائح العطار ، ومن الاستعارات الاستعارة المكنية شائعة في مدائحه ، ومن البديعيات قد حظي الطباق والجناس في مدائحه.

بينما أبو نزار لم يستخدم الصور البيانية ولم يختار الصنعة البديعية بل تتصف قصائده بالمزاوجة بين الأساليب الانشائية والخبرية. من الأساليب الانشائية تارة يأتي بأسلوب النداء وتارة يأتي بأسلوب الاستفهام ، ومن الأساليب الخبرية كثر تعبير الجمل الفعلية الخبرية على سبيل تحقق الوقوع.

خلاصة البحث بأن شعر الشاعرين في المدحة النبوية في مقام التعظيم والحب والوفاء بأسلوب خاص الذي يتسم بالخصائص الفنية والجمالية مع فخامة الألفاظ وقوة السبك ورصانة الصياغة.

الهوامش والمراجع

[1] . المدائح النبوية في الأدب العربي: د/ زكي مبارك ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1 ، 1935م، ص:17.

[2] . لسان العرب: محمد بن مكرم ، جمال الدين ابن منظور ت711هـ ، دار صادر – بيروت ، ط 3، 1414هـ. مادة: م د ح.

[3] . المعجم المفضل في اللغة والأدب: د/ أميل بديع يعقوب ، د/ ميشال عاصي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1132/2.

[4] . هو حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري الخزرجي النجاري ، شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه. كان شديد الهجاء للمشركين ، توفي 54هـ. ينظر: ينظر: تاريخ دمشق: ابن عساكر ت571هـ ، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 1995م ، 379/12.

[5] . هو كعب بن مالك الأنصاري الخزرجي ، ولم يتخلف عن رسول الله ﷺ إلا فِي غزوة بدر وتبوك ، وكان من شعراء رسول الله ﷺ . قيل: توفي سنة 50 أو 51هـ. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير الجزري، ت630هـ ، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط1، 1994م. 461/4.

[6] . هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا الفتح وما بعده ، وكان من الشعراء الذين يناضلون عن رسول الله ﷺ. ينظر: أسد الغابة: 235/3.

[7] . هو كعب بن زهير بن أبي سلمى بن ربيعة المزني ، شاعر مخضرم ، ومن أشهر قصائده اللامية (بانت سعاد) ، توفي سنة 622م. ينظر: الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري ت276هـ ، دار الحديث ، القاهرة ، 1423هـ ، ص: 61.

[8] . التداخل الثقافي العربي – الفارسي (من القرن الأول إلى القرن العاشر الهجري) : رشيد بلوج ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات ، قطر ، ط1 ، 2014م ، ص: 3.

[9] . بغية الطلب في تاريخ حلب ، ، كمال الدين ابن العديم ت 660هـ ، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر،2390/5.

[10] . معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت 626هـ ، تحقيق: إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1993م. 867/2.

[11] . لم أجد ترجمته في كتب التراجم.

[12] . هو العلامة الفقيه أبو الفتح أحمد بن علي بن برهان البغدادي ، الشافعي. كان أحد الأذكياء ، بارعا في المذهب وأصوله ، يضرب به المثل في تبحره ، صار من أعلام الدين. توفي سنة 518هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي ت 748هـ ، تحقيق: الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط3 ، 1405 هـ / 1985م. 336/14.

[13] . هو أحمد بن موسى بن حوشين أبو العباس الأشنهي ، كان زاهدا ، ورعا ، فقيها ، مفتيا. توفي سنة 515هـ. ينظر: الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفديّ ت764هـ .، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث – بيروت ، 1420هـ. 129/8.

[14] . هو علي بن محمد بن علي أبو الحسن بن أبي زيد الفصيحي الاستراباذي ، كان نحويا ، توفي سنة 516هـ. ينظر: الوافي بالوفيات: 56/22.

[15] . هو الإمام القاضي نور الهدى أبو طالب الحسين بن محمد بن علي الزينبي ، الحنفي. كان شريف النفس ، قوي الدين ، وافر العلم ، شيخ أصحاب الرأي في وقته وزاهدهم ، وفقيه بني العباس. توفي سنة 512هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: 354/19.

[16] . ينظر: طبقات الشافعية الكبرى : تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي ت 771هـ ، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو ، هجر للطباعة والنشر ، ط2 ، 1413هـ. 63/7. وبغية الطلب في تاريخ حلب: 2390/5.

[17] . تاريخ الإسلام ووَفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت748هـ، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م. 392/12.

[18] . إنباه الرواة على أنباه النحاة: أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ت 646هـ ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي – القاهرة ، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ، ط1 ، 1982م. 344/1.

[19] . الوافي بالوفيات: 38/12.

[20] . بغية الطلب في تاريخ الحلب : 5/ 2393.

[21] . المرجع نفسه.

[22]. شروح التلخيص: (مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي. وفي الهامش: الإيضاح للخطيب القزويني صاحب تلخيص المفتاح، وحاشية الدسوقي على الشرح المختصر للسعد التفتازاني)، دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان ، (ب.ت).298/1 – 301.

[23] . بغية الطلب في تاريخ الحلب : 5/ 2393.

[24]. شروح التلخيص: 290/2. ينظر: أساليب الاستفهام في البحث البلاغي وأسرارها في القرآن الكريم: محمد إبراهيم محمد شريف البلخي، رسالة الدكتوراه بالجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد – باكستان، 2007م. ص: 100 – 101.

[25] . بغية الطلب في تاريخ الحلب : 5/ 2393.

[26] . المرجع نفسه.

[27] . بغية الطلب في تاريخ الحلب: 5/ 2393.

[28] . المرجع نفسه.

[29] . المرجع نفسه.

[30] . المرجع نفسه.

[31] . التصوف وفريد الدين العطار: عبد الوهاب العزام ، مؤسسة الهنداوي ، القاهرة ، مصر ، 2012م. ص:41- 56.

[32] . المرجع نفسه.

[33] . ينظر: المرجع نفسه.

[34] . ينظر: المرجع نفسه.

[35] . التصوف وفريد الدين العطار: ص:41- 56.

[36] . المرجع نفسه.

[37] . المرجع نفسه.

[38] . التصوف وفريد الدين العطار: ص:41- 56.

[39] . منطق الطير ، العطار النيسا بوري ، 1383ش ، تحقيق : محمد رضا شفيعي كدكني ، دار سخن للنشر ، طهران ، إيران ، ص:89.

[40]. ينظر: شروح التلخيص: 296/3 – 297، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ت1362هـ، تحقيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، (ب.ت)، ص: 241.

[41] . المرجع نفسه.

[42] . مصيبت نامه ، العطار النيسا بوري ، 1385ش ، تصحيح: نوراني وصال ، دار زوار للنشر ، طهران ، إيران ، ص:19.

[43] . الديوان: فريد الدين النيسابوري ، 1377 ش ، تحقيق: محمود علمي ، دار جاويدان للنشر ، طهران ، إيران ، ص: 38.

[44] دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط3، 1413هـ – 1992م. ص: 66.

[45] . الديوان: ص: 664.

[46] . مصيبت نامه: ص:24.

[47] ينظر: التكرار في الحديث النبوي: د. أميمة بدر الدين ، بحث في مجلّة جامعة دمشق ، المجلد 26 ، العدد الأول والثاني ، 2010م. ص: 73.

[48] التكرير بين المثير والتأثير: د. عز الدين علي السيد ، عالم الكتب ، بيروت ، ط 2، 1986م. ص: 136.

[49] . اسرار نامه: فريد الدين النيسابوري ، 1384 ش ، تحقيق: سيد صادق ، دار ظهران للنشر ، طهران ، إيران ، ص: 14.

[50] .المرجع نفسه.

[51] .المرجع نفسه.